الصيدلاني الأندلسي

أبو العباس النباتي (ابن الرومية)

٥٦١ - ٦٣٧هـ

للأستاذ فاضل السباعي

١- تمهيد :

عاش « أبو العباس النباتي»، الإشبيلي، في عصر كانت فيه الأندلس تتعرَض لضربات متفاقمة من إسبانيا النصرانية؛ وما كان ذلك إلا ليزيد في ازدهار الأدب والعلم والحضارة في تلك البلاد، النائية، التي تُشكَل «القوادم» في أحد جناحي العالم الإسلامي الممتدَ شرقًا وغربًا، وقد تُركت لمصيرها إلا من دعم، متفاوت القدْر، تتلقَاه من القطر الأقرب لها والذي لم يكن يفصلها عنه إلا مضيق جبل طارق، المغرب .

ولد « أحمد بن محمد بن مفرَج »، المكني بـ « أبي العبَاس »، في إشبيلية سنة ٥٦١هـ (١١٦٥م)، والأندلس، ذيَاك العهد، جزءٌ من دولة الموحَدين الفتيَة، التي تمَ لها، سنة ٥٤٢هـ، أن تبسط سلطانها على العُدْوتين المغربيَة والأندلسيَة، بعد أن تمكَنت من تقويض أركان دولة المرابطين وحلَت محلَها قوةَ وعظمة، وكان ثالث

أمرائها، يعقوب المنصور، هو قائد المعركة الظافرة «يوم الأرَك»، التي وقعت شماليَّ قرطبة سنة ٥٩١هـ (١١٩٥م) وانتصر فيها على الجيوش القشتالية، التي يقودها ألفونسو الثامن، انتصارًا كان من شأنه أنْ مدَّ في عمر الحقبة العربية في الأندلس أجيالاً، بل مئتين أو ثلاثًا من السنين!

كان أبو العبّاس أحمد، الأموي بالوَلاء(١)، محدِّثًا حافظًا ناقدًا، بصيرًا بالحديث ورجاله. ولكن كانت له، إلى ذلك، « معرفةٌ بالنبات فاق فيها أهل عصره »، كما قال معاصره ابن الأبّار(٢). وقال ابن عبد الملك المراكشي في حقّه: هو « إمامُ أهل المغرب قاطبة في معرفة النبات (...) وعلى الجملة فإنه من حَسَنات الدهر التي قلّما يسمح بمثلها »(٣).

وأجْمَلَ، بعد هذين المؤرخين، صاحبُ « الإحاطة.. » رأيه في هذا العالِم الذي دخل غرناطة غيرَ ما مرة «لسماع الحديث وتحقيق النبات، ونَقَّرَ(٤) عن عيون النبات بجبالها»، فقال إن أبا العباس « كان نسيجَ وحده، وفريد دهره، وغرّة جنسه، إمامًا في الحديث (...)، عجيبةَ نوع الإنسان في عصره، وماقبله ومابعده، في معرفة (النباتات...) على اختلاف أطوار منابتها، بمشرقٍ أو بمغربٍ، حسًّا ومشاهدةً وتحقيقًا، لا مُدافع له في ذلك ولا مُنازِع، حجةً لاتُردّ ولا تُدفع، إليه يسلّم في ذلك ويُرجَع. قام على الصَّنْعتين، لوجود القَدْر المشترك بينهما، وهما: الحديث والنبات، إذ موادُّهما الرحلة، والتقييد، وتصحيح الأصول، وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان... »(٥).

بعد هذا الثناء العاطر، الذي أغدقه على أبي العباس مؤرخون معاصرون له ولاحقون، يحقّ لنا أن نتساءل:

مابال هذا العالم، الجليل الفذّ العبقريّ، بعيدٌ عن دائرة اهتمام باحثينا المعاصرين، إلا من إشارات إليه مقتضبات، هنا وهناك، يطلقون عليه فيها:

« ابن الرُّوميّة »، الكُنية التي لم يكن يستسيغها... ثم يُسدلون عليه ستاراً من الصمت صفيقاً؟!

ماذلك في رأينا، إلا لأن مصنّفاته، تلك التي ألّفها في كلا الفنّيْن: الحديث والنبات، قد اندثرت، فلم تُبق لنا يد الحَدَثان منها مصنّفاً واحداً. والذي وصل إلينا عنه لايعدو كلمات، في بطون الكتب القديمة، طيبات، هي على غرار الباقة العطرة التي اقتطفنا.

إلا أن هنالك، لُحسن الحظّ، نُبَذاً، من علمه ونباته وطبّه، قُيّض لها أن تنجو من قبضة الفناء وتخترق جدار الزمن، فتبلغ علمنا عَبر نُقول قد اقتبسها منه - وهو بعد في قيد الحياة - تلميذُه الأندلسي، النباتي، ضياء الدين «عبدالله بن أحمد » المالَقي، المعروفُ بـ «ابن البيطار» (المتوفى سنة ٦٤٦هـ)، وضمَّنَها موسوعتَهُ الشهيرة: « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» !

٢ - أبو العبّاس، العالم الطُّلَعة :

في إشبيلية، المدينة الأندلسية الزاهرة، القريبة من شاطئ بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) جنوبًا، شبَّ أحمد بن محمد بن مفرِّج، وتعلّم، وسمع الحديث عن أكابر علماء عصره، وتفقّه طويلاً في مذهب الإمام أنس بن مالك، وأصبح محدِّثًا حافظًا ناقدًا.

وكان والده « محمد »، وكذلك جدُّه «مفرِّج» من المعنيّين بالتطبيب بالنبات، « وكانا قدوة في العلم به »، وعنهما - وخاصة عن جده « أبي الخليل مفرِّج » - وعن غيرهما، أخذ هذا العلمَ، حتى غدا، كما يقول ابنُ عبد الملك: « إمام المغرب قاطبة في معرفة النبات، وتمييز الأعشاب وتَحْلِيَتها(٦) وعِلْمِ منافعها ومضارها، غيرَ مدافع عنه ولامنازع فيه »(٧).

واتخذ لنفسه، في إشبيلية، دكاناً يستقبل فيها الناس: يصغي إليهم، ويطّلع على حالتهم، ثم يقدِّم لهم من الأعشاب والنباتات ماينفعهم في أمراضهم.

قال ابن الأبار: وقعد أبو العباس النباتي في دكان يبيع العشب، « وهناك رأيته، ولقيته غير مرة »(٨).

وبدا أن حبّة للعلم، وولعه بالكتب، وإقباله على التأليف والنسخ، كان ذلك كله يجعله يستفيد، وهو في دكانه تلك، من كل سانحة تسنح له بالقراءة أو الكتابة أو النسخ... يحدّثنا المقّري، صاحبُ «نفح الطيب»، أن بعضهم حكى أنّ أبا العباس النباتي كان في دكانه يبيع الحشائش وينسخ. وذات يوم مرّ به وهو في دكانه، الأميرُ «أبو عبد الله بن هود» سلطان الأندلس ممتطيًا جواده، فسلَّم عليه، فردّ أبو العباس السلام دون أ يرفع إليه رأسه وهو يتابع النسخ! تقول الرواية: إن سلطان الأندلس لبث واقفًا في باب الدكان لحظات مديدة، منتظرًا أن يرفع إليه النباتيُّ رأسه... فلما لم يحفِل به، ساق فرسه ومضى!(٩)

وحبُّ أبي العباس للعلم وحرصُه على التقصّي، كانا يحملانه على التجوُّل في أنحاء الأندلس بحثًا عن المعرفة التي لاينضب معينها. وقد أورد ابنُ الخطيب في «الإحاطة» ترجمتَهُ – وهو ليس غرناطيًا – بين من دخل غرناطة .. فقال إنه «دخلها غيرَ مامرة، لسماع الحديث وتحقيق النبات»(١٠).

ويقول ابن الأبار إنه، في طلبه العلم، قد جاز البحرَ إلى العُدوة المغربية «للقاء ابن عبيد الله بسبتة، فلم يتهيأ له ذلك». ويشير إلى أن هذه الرحلة قد تمّت بعد سنة ٥٨٠هـ... إذن، فقد كان النباتي، يومئذ، شابًا لم يتعدَّ العشرينات من عمره !(١١)

إلا أن الرحلة الكبرى، المؤثِّرة، كانت تلك التي قام بها باتجاه الشرق وقد تجاوز الخمسين من عمره. ومثل هذه الرحلات كان ينهض بها ذوو الهمّة من علماء الأندلس بقصد الحج ولتحصيل العلوم والمعارف من المشرق الإسلامي الذي ظلَّ، في منظومة الثقافة الإسلامية، مهبطَ الوحي ومنهل

العلم وموئل الحضارة؛ وكثيرًا ماكانت الرحلة تتجاوز الأشهر التي يقتضيها السفر وأداءُ الفريضة لتمتدّ سنين عددا. وقد استهدف عالمُنا أبو العباس في رحلته المشرقية - عدا الحج - غايتين اثنتين: الاستزادةَ من جمع الحديث، والوقوفَ على أنواع من النباتات والأعشاب ليس يعرفها الناس في الأندلس.

ويحدثنا صاحب «الذيل والتكملة» أن أبا العباس «رحل إلى المشرق، بنيّة الحج، عام اثني عشر وستمائة، فأدى فريضته عام ثلاثة عشر، ولُقّب هنالك بـ «مُحبّ الدين»(١٢)، وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام. ولقي، في وجهته، من أَعلام العلماء الأكابر جملة كبيرة...»(١٤)؛ ثم يمضي ابنُ عبد الملك فيعدِّد لنا مئتين من هؤلاء العلماء، في المدن التي حلّ بها منذ خروجه من الأندلس، بجاية، وتونس، والإسكندرية، ومصر، والقدس (التي نزل بها في رمضان ٦١٣هـ/كانون الأول ١٢١٦م)، ومكة، ودمشق، وبغداد (التي وصلها يوم الأربعاء غرة صفر ٦١٤هـ/ ١٠أيار ١٢١٧م)، والموصل... ومن بين هؤلاء العلماء عالماتٌ كثيرات، أخذ عنهنّ أبو العباس الحديث(١٤).

وينتهي ابن عبد الملك، بعد سرده كثيرًا من أسماء شيوخ أبي العباس في رحلته الكبرى هذه ، إلى أنه «قفل إلى بلده برواية واسعة وفوائد جمّة ، وجلب كتبًا نافعة وتصانيف غريبة»(١٥)، وهو يعني ماحصلّه عالمُنا في رحلته من رواية الحديث، ويضيف إلى ذلك عناية النباتي - في رحلته هذه المشرقية وفي رحلات له أخرى داخلية - بالنبات - فيقول، بلهجة الاعتزاز، إنه «جال بسببه الكثير حتى وقف على منابته وصوره، ورحل في ذلك إلى جبل غرناطة وغيره من بلاد الأندلس؛ وعاين، في وجهته المشرقية، كثيرًا مما لايكون بالمغرب منه [أي النبات]، وفاوض فيه(١٦) هنالك كلَّ مَن أمكنه ممّن يُشهَد له بالفضل في معرفته؛ ولم يزل باحثًا عن

حقائقه، كاشفًا عن غوامضه، حتى وقف منه على مالم يقف عليه غيره ممن تقدّم في الملّة الإسلامية، فصار أوحدَ عصره في ذلك، فردًا لايُجاريه أحدٌ فيه، بإجماعٍ من أهل هذا الشأن»(١٧).

وكان من حصيلة هذه الرحلة، من الوجهة العلمية، أن أبا العباس ألّف كتابًا بعنوان «الرحلة النباتية»(١٨) سرعان ماعوّل عليه معاصرُه ابن البيطار لدى تصنيفه موسوعته «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»، التي أشرنا إليها أعلاه، والتي سنتوقف عندها طويلاً !

٣ - النباتي في «طبقات الأطبّاء» :

ولقد اتفق، في أثناء رحلة أبي العباس إلى الشرق، أنّ الأقدار كانت تُهيِّئ شابًا نابغًا لتعلُّم الطب والاستعداد بعد ذلك لكتابة أحسن موسوعة عربية - ونكاد نجزم: أحسن موسوعة عالمية حتى ذلك الوقت - في تاريخ الطب والأطباء: ذلك الرجل هو «أبو العباس أحمد بن القاسم»، الذي شهر في التاريخ بـ «ابن أبي أصيبعة»، والمولود بدمشق سنة ٥٩٦هـ (١٢٠٠هـ) في أرجح الأقوال. وتردّد، هذا الطبيب الشاب، بين موطنه دمشق وبين القاهرة وقد كان يُظلُّهما حكم الأيوبيين، وذلك في المدة التي تلت زيارة محب الدين أبي العباس النباتي لهاتين العاصمتين، حيث التقى - نعني ابن أبي أصيبعة - بابن البيطار القادم من الأندلس وتتلمذ عليه.

ولابأس في أن نتصوّر أن ابن أبي أصيبعة قد امتلأ خاطرُه بأخبار العالم الأندلسي أبي العباس النباتي، وإن لم يُقدَّر له أن يلتقيه. فلما شرع في تصنيف موسوعته، التي غدت شهيرة، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، وفرغ من مسودتها الأولى سنة ٦٤٣هـ بدمشق، تبيّن أنه قد أفرد فيها للنباتي الأندلسي فصلاً حَفَل بما عَرَف من أخباره، دون أن يُعوِّل في ذلك، كما يبدو، على المصادر الأندلسية المعاصرة، تلك التي لم يكن قد آن لها أن تَذْكُر عن النباتي شيئًا بعد؛ وكان قد توفي، في موطنه إشبيلية، قبيل ذلك

ببضع سنوات (٦٣٧هـ)، ابن أبي أصيبعة لايدري، بدليل أنه لم يُشر إلى الوفاة، أو هو سمع بها ولكنه ماعرف تاريخ وقوعها فلم يذكره .

عرَّف صاحبُ «طبقات الأطباء» به، فقال:

«هو أبو العباس : أحمد بن محمد بن مفرّج النباتي، المعروف بـ «ابن الروميّة»(١٩)، من أهل إشبيلية، ومن أعيان علمائها وأكابر فضلائها (...) له الذكرُ الشائع والسمعة الحسنة، كثير الخير، موصوف بالديانة، مُحققٌ للأمور الطبية، قد شرَّف نفسه بالفضائل. وسمع من علم الحديث شيئًا كثيرًا عن ابن حزم وغيره»(٢٠).

وفي مجال تخصّصه العلمي الفريد، قال :

و «قد أتقن علم النبات، ومعرفة أشخاصِ الأدوية، وقواها، ومنافِعها، واختلافِ أوصافِها، وتبايِنِ مواطنِها (...) ووصل سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى ديار مصر، وأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين، وانتفع الناس به، وأسمع الحديث، وعاين نباتًا كثيرًا في هذه البلاد ممّا لم ينبت بالمغرب، وشاهد أشخاصها في منابتها ونظرها في مواضعها».

وينفرد ابن أبي أصيبعة بروايةِ حكايةٍ وقعت لأبي العباس في المشرق بعد نزوله الإسكندرية .

«لما وصل من المغرب إلى الإسكندرية، سمع به السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب رحمه الله، وبلغه فضلُه وجودة معرفته بالنبات. وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة، فاستدعاه من الإسكندرية، وتلقّاه وأكرمه ورسم بأن يقرّر له جامكيّة وجراية(٢١) ويكون مقيماً عنده، فلم يفعل، وقال: إنما أتيت من بلدي لأحج إن شاء الله، وأرجع إلى أهلي»(٢٢).

ويقول ابن أبي أصيبعة: «وبقي مقيماً عنده مدّة، وجمع الترياق الكبير وركّبه(٢٣)، ثم توجه إلى الحجاز. ولما حج عاد إلى المغرب، وأقام

بإشبيلية»(٢٤).

٤ - مزايا .. وسجايا!

ولكي نستطيع رسم صورة لمحب الدين أبي العباس النباتي، بما نملك من ملامح وظلال وتلاوين، أملاً في أن نستحضر من قلب الماضي البعيد شخصيته الحلوة الجذّابة، يتعيّن علينا القول بأنه كان يتمتّع بخلال ومزايا خلقية قد شاعت عنه بين خلانه وطلاّبه قبل أن تبلغ أسماع المؤرخين فيسجلوها في عداد مناقبه النبيلة وسجاياه السامية.

لقد كان، مع زهده في الدنيا، شغوفًا بالعلم، كثيرَ العناية بالكتب، جمّاعًا لها، عاكفًا على نسخها بنفسه، متبرِّعًا بها لمن يحتاج إليها! وكان مستقلاً برأيه، حريصًا - فيما بعد - على أن يستجيب لدواعي النفس والروح ولما يعتقد أنه من رسالته في هذه الحياة الدنيا.

يحدّثنا ابنُ عبد الملك أن أبا العباس «كان كثيرَ الشغف بالعلم، والدُّؤوب على تقييده - على إفراط رداءة خطّه - ومداومة سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته وحاجات الناس إليه، إذ كان حَسنَ العلاج في طبّه، مورد الموضع لثقته ودينه»(٢٥).

ويقول، أيضًا، إنه كان «موسَّعًا عليه في معيشته، كثيرَ الكتب في كل فن من العلوم على تفريقها»، ويضيف: وكان «سَمْحًا لطلبة العلم بها [بالكتب]، وربما(٢٦) وهب منها، لُملتمسه، الأصلَ النفيس، الذي يعزّ وجوده ويعظم جدواه وترتفع قيمته، احتسابًا به [وإعانة](٢٧)على التعلّم؛ له، في ذلك كله، أخبارٌ منبئة عن فضله وكرم طبعه»(٢٨).

ولقد تفقّه أبو العباس أحمد بن مفرِّج، في شبابه، طويلاً على أبي الحسين ابن زَرْقون(٢٩) في مذهب الإمام مالك، وبات يُتوقّع له أن يصبح واحدًا من فقهاء المالكية، المذهب الذي شاع في الأندلس، ابتداءً من مطلع المئة الثالثة للهجرة، فاتبعه العامة في البلاد فضلاً عن الأدباء والعلماء والأمراء.

إلا أن محبَّ الدين تحوَّل عن المالكية إلى «الظاهرية»، هذه التي لايأخذ أتباعها إلا بمظاهر المعنى للآيات القرآنية والأحاديث النبوية(٣٠)، مُتأسياً في ذلك بابن حزم، من أكابر علماء الأندلس وأدبائها المفكرين في القرن الخامس الهجري، الذي كان قد تحوَّل أيضاً إلى الظاهرية عن المذهب الشافعي، ولقي في ذلك من الفقهاء والملوك عنتاً كثيراً، حتى إن بعض كتبه أحرق في إشبيلية ومُزِّق علانية!.(٣١)

لقد استجاب أبو العباس لنوازع الروح ومأأملاه عليه داعي المعتقد، فانصرف انصرافَ ابن حزم عن مذهبه الذي شبَّ عليه، ليُقبِل بكليته على الظاهرية، حتى عُرِف بأنه كان «سنّيًا، ظاهريَّ المذهب، مُنْحيًا على أهل الرأي، شديدَ التعصّب لابن حزم»!.(٣٢)

وإذا لم يُعرف عن النباتيِّ الظاهريِّ أنه «استفزَّ» معاصريه، بمثل ذلك الجدال الذي كان رائدُه ابنُ حزم «يصكّ به معارضَه صكَّ الجندل»، كما قال شيخ مؤرخي الأندلس ابن حيّان، فإنه قد أتى بعمل آخر ذي شأن كبير. ذلك أن مصنَّفات ابن حزم، التي كان قد أحرق بعضها في إشبيلية ومُزِّق، تلك التي كانت تُكمل «وَقْرَ بعير، لم يتجاوز أكثرُها عتبةَ الباديةِ» التي قَضى فيها مصنِّفُها... إن مصنفاته ورسائله، الفقهيَّ منها والاجتماعيَّ والأدبيَّ، التي بات يُتوقَّع لها الفناء في أيدي حائزيها مع ذلك الحصار المعنوي المضروب حولها(٣٣). قد «عُني بها [أبو العباس] كثيراً، واستنسخها(٣٤)، وأنفق عليها أموالاً جسيمة، حتى استوعبها جميعاً فلم يشذَّ عنه منها إلا مالاخطر له إن كان قد شذَّ، مقتدراً على ذلك مُعاناً عليه بجِدَته ويساره» ... حتى قيل: وعن أبي العباس النباتي «انتشرت تصانيف ابن حزم»!(٣٥)

فأية حماسةٍ واندفاع! وأي إيمان!

وهل كان اعتذاره للملك العادل بالقاهرة، عن أن يظلَّ في كنفه مقيماً،

ينطوي على حرصٍ منه على العودة، بعد أداء الفريضة، إلى الوطن، ليُتابع قيامه برسالته التي آمن بها، وهي العناية بمصنفات ابن حزم، استنساخاً وبذلاً ونشراً؟... أم أنه لمّا يكن – قبل رحلته المشرقية سنة ٦١٢هـ – قد تحوَّل بعد إلى المذهب الظاهري، بدليل أن ابن أبي أصيبعة – الذي عَرَّف به من خلال رحلته هذه إلى الديار المصرية والشامية، حتى لقد تحدّث عن شئونٍ فيه حميمة (٣٦) – لم يُشر أية إشارة إلى أنه من أتباع داود الظاهري؟!

ولن نُغفل، أخيراً، القول بأن عالمنا محبَّ الدين النباتي كان متعلقاً بالأدب مثلما كان ابن حزم؛ وكان شاعراً – مثله أيضاً – ولكنه لم يكن يتظاهر بقول الشعر؛ وكان، بعد ذلك، محباً لدمشق الشام، التي زارها في رحلته وقضى فيها مدةً وهو يُنَقِّر عن الحشائش والأعشاب !

يقول معاصره ابن سعيد الأندلسي:

«جالستُه، يوماً، بعد عودته من رحلته، فرأيته متعلّقاً بالأدب، مرتاحاً إليه ارتياحَ البحتريِّ لحلب (...) وكان غير متظاهر بقول الشعر، إلا أن أصحابه يسمعون منه ويروون عنه، وحَمَلْتُه عليه في بعض المرات، فقال: تكفيك هذه الأبيات:

خَيِّمْ بـ «جِلِّق»(٣٧) بين الكأس والوتر
وفي جنّةٍ هي ملء السمع والبصرِ
مَتِّع الطَّرْف في مرأى محاسنها
تَروضُ فكرَكَ بين الروض والزَّهَرِ
وانظرْ إلى ذَهَبيّات الأصيل بها
واسمعْ إلى نَغَمات الطير في الشجرِ
وقلْ لمن لام في لذّاته بشراً:
دعْني، فإنك عندي من سوى البشر!

«وكان كثيراً ما يُطْنِب في الثناء على دمشق ويصف محاسنها، فلا أنفصلُ عنه إلا وقد امتلأ خاطري من شكلها، فأتمنى أن أحُلَّ مواطنَها، إلى أن بلَّغ اللهُ الأمل والأماني قبل المنون:

وإنـي لـو نـظـرتُ بـألـف عـيـنٍ
لما استوفتْ محاسنَها العيونُ»(٣٨)

٥ - مصنّفاته :

تعدّدت مصنّفات محبّ الدين أبي العباس النباتي، «وله، فيما ينتحله من الفنّين [الحديث والنبات] تصانيفُ مفيدة، وتنبيهاتٌ نافعة، واستدراكات نبيلة بارعة، وتعقُّبات لازمة»(٣٩)... وهي :

١ - «الحافل في تكملة الكامل» :

وهو سِفرٌ ضخم ذَيَّل به كتاب «الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة»، الذي كان ألفه، في القرن الرابع الهجري، ابنُ عدي الجرجاني(٤٠). ورد ذكر «الحافل» في: «التكملة..»: ١٢١(٤١)، «تذكرة الحفَّاظ» ٤: ٢١٠، «الإحاطة..» ١: ٢١٢، «نفع الطيب» ٢: ٥٩٧ .

٢- «المُعلِم بزوائد البخاري على مُسْلِم»:

«الذيل..» ١: ٥١٣، «تذكرة الحفاظ» ٤: ٢١٠، «الإحاطة..» ١: ٢١٢(٤٢)، «نفع الطيب» ٢: ٥٩٧ .

٣ - «نظم الدراري فيما تفرَّد به مُسْلم عن البخاري»: «الإحاطة..»: ١: ٢١٢.

٤ - «توهين طرق حديث الأربعين»: «الإحاطة..» ١: ٢١٢ .

٥ - «حكم الدعاء في أدبار الصلوات»: «الإحاطة..» ١: ٢١٢ .

٦ - «كيفية الأذان يوم الجمعة»: «الإحاطة..» ١: ٢١٢ .

٧ - «أخبار محمد بن إسحق»(٤٣):

وقد انفرد بذكر هذه الكتب الخمسة الأخيرة ابن الخطيب في الإحاطة..» ٢١٢:١ .

٨ – مختصر كتاب «الكامل» لابن عدي، مجلدان : «التكملة ..»: ١٢١، «الإحاطة..» ٢١٢:١، «نفح الطيب» ٥٩٧:٢ .

٩ – مختصر «غريب حديث مالك» للدارَقُطني(٤٤): «التكملة..» ١٢١(٤٥)، «الإحاطة..» ٢١٢:١، «نفح الطيب» ٥٩٨:٢ .

١٠ – فهرسة بمشيخته :

«التكملة»: ١٢١(٤٦)، «الذيل..» ٥١٠:١(٤٧)، «تذكرة الحفاظ» ٤ : ٢١٠، «الديباج المذهَّب» : ٤٣، «نفح الطيب» ٥٩٨:٢ .

١١ – «تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس» :«طبقات الأطباء»: ٥٣٨، «نفح الطيب» ١٨٥:٣(٤٨) .

١٢ – «شرح حشائش ديسقوريدس وأدوية جالينوس» والتنبيه على أوهام مترجميها:

«الذيل..» ٥١٣:١، «الإحاطة..» ٢١٢:١ .

١٣ – مقالة في «تركيب الأدوية» : انفرد بذكره «طبقات الأطباء» : ٥٣٨.

١٤ – «التنبيه على أغلاط الغافقي في أدويته»(٤٩): «الذيل..» ٥١٣:١، «الإحاطة..» ٢١٢:١ .

١٥ – «الرحلة النباتيَّة» :

انفرد بذكره «الإحاطة..» ٢١٢:١(٥٠). وعنه نقل ابن البيطار كثيراً .

تلك هي أسماء مصنَّفات العالم أبي العباس النباتي، في فنَّي الحديث والنبات، التي لم يصل إلينا أيٌ منها مع الأسف !

وإذا كانت هذه الكتب قد اندثرت، كما يغلب على الظنّ اليوم، فإنّ العزاء في أنّ تلميذ أبي العباس – ونعني بَلَديّه عبد الله بن البيطار، والذي وفد إلى المشرق وأقام في كنف الأيوبيين في القاهرة ودمشق – قد ألّف لأحد

سلاطينهم، هو الملك الصالح أيوب (ت٦٤٧هـ)، كتابه الخالد: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»؛ وفي هذه الموسوعة، التي تجاوزت مفرداتها الألف، حشد مصنّفها كلّ ماوصل إلى علمه من معارف الأقدمين، عرباً ومسلمين ويونانيّين وغيرهم ...

قلت: فكان ابن البيطار، في تحريّه العلمي الواسع وفي موضوعيّته المُرهفة، يبدأ - في كلّ مفردة من مفردات كتابه التي رتّبها على حروف المعجم - بأن يذكر مصدره: اسمَ الطبيب أو النباتيّ أو العالِم، وأحياناً اسمَ الكتاب الشهير الذي أخذ عنه، ثم يُتبع ذلك المعلومةَ المقتبسةَ بنصّها !

والتلميذ النابه البارّ، لم يدخّر وُسعاً في أن يستفيد من علم أستاذه الجليل أبي العباس: فرأيناه يقتبس، مرات كثيرة، من كتابه «الرحلة ..»، هذه التي يصفها أحياناً بـ «..النباتية» وأحياناً أخرى بـ «..المشرقية»، وفي مرات غيرها يذكر اسم أستاذه صريحاً .

وقد راجعت هذه الموسوعة بأجزائها الأربعة(٥١)، وحصرت المفردات التي فيها لأبي العباس النباتي تَحْلِيةٌ أو قولٌ، فوجدتُها مئةً واثنتين من المفردات النباتيّة والحيوانيّة والمعدنيّة(٥٢).

وليس الذي قدمتُه، أعلاه، إلا تعريفًا بشخص هذا الطبيب الصيدلانيَّ العالم الطُّلَعَة، المَنْسيَّ، الذي يُعَدّ - مع ضياع كتبه - من أعظم صيادلة الأندلس في توالي عصورها!

وهو، كذلك من أعظم الصيادلة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وذلك لما تميّزتْ به الأندلسُ من عطاء علميّ مطّرد في مجال المفردات الدوائية، منذ بلوغ ذلك القطر - العربيّ الذي كان - ذورة الازدهار الحضاري في عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ)، وإلى يوم غابت شمسُ الأجداد في غرناطة مع غروب القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . ولكل أجل كتاب.

مصادر البحث
(مسلسلة حسب أزمان مؤلّفيها)

١ - ابن حزم - أبو محمد، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ): «رسائل بن حزم الأندلسي» (صدر منها أربعة أجزاء)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ببيروت ١٩٨٠-٨٣ (الجزء الأول ١٩٨٠).

٢ - ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد، عبدالله بن أحمد المالقي (ت٦٤٦هـ): «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» (أربعة أجزاء في مجلدين)، دار المدينة (د.م.د.ت) (مصوّرة عن طبعة بولاق، القاهرة ١٢٩١هـ/١٨٧٥م).

٣ - ابن الأبّار - محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٩هـ): «التكملة لكتاب الصلة» (جزآن)، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة [القاهرة]، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥ (الجزء الثاني) .

٤ - ابن أبي أصيبعة - موفق الدين أبي العباس، أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت٦٦٨هـ): «عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء» تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة ببيروت (د.ت) .

٥ - ابن سعيد الأندلسي - علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ): : «اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى»، تحقيق إبراهيم الإبياري. وزارة الثقافة بالقاهرة ١٩٥٩م .

٦ - ابن عبد الملك الأنصاري المراكشي - أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ): «الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة» (ثمانية أسفار، المطبوع منها خمسة متفرقة)، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد بن شريفة، دار الثقافة ببيروت وأكاديميّة المملكة المغربيّة بالرباط، ١٩٦٤ - ٨٤ (السفر الأول، تحقيق الدكتور ابن شريفة، دار الثقافة بيروت . د.ت) .

٧- الحافظ الذهبي - محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ): «تذكرة الحفّاظ» (خمسة أجزاء، آخرها فهارس)، حيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية ١٣٣٣ و ٣٤هـ (الجزء الثالث والرابع) .

٨ - لسان الدين بن الخطيب - أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن سعيد ... السلماني (ت ٧٧٦هـ): «الإحاطة في أخبار غرناطة» (أربعة أجزاء)، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٦ - ٧٧، (الجزء الأول، الطبعة الثانية ١٩٧٣).

٩ - المقّري التلمساني - أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ): «نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب» (ثمانية مجلدات آخرها فهارس)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر ببيروت ١٩٦٨، (المجلد الثاني).

الهوامش

(١) أي أنه لاينحدر من أصل أموي، بل هو من موالي الأمويين .

(٢) « التكملة لكتاب الصلة » : ١٢١ .

(٣) « الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة » ١ : ٥١٢ و ١٣ .

(٤) في « القاموس المحيط »: نَقَرالشيء، ونَقَّره، ونَقَّر عنه : بحث عنه .

(٥) لسان الدين بن الخطيب « الإحاطة في أخبار غرناطة » ١ : ٢١٣ و ٢٠٨ .

(٦) في « لسان العرب »: تَحلاّه : عَرَفَ صفته، والتَّحْلية: الوصف، والحِلْيَة: الصفة والصورة .

(٧) «الذيل..» ١:٥١٢. وتضطرب العبارة الواردة في «الذيل..»، حول الجدّ «مفرِّج»، وتختلف عن صورتها التي نقلها لسان الدين بن الخطيب:

فهي في «الذيل..»: «وكان ولاء جده مفرِّج لأحد أطباء قرطبة، وكان قد تبنّاه، وعن مولاه هذا يعني ابنَ عبد[أخذ علم النبات» ! ١:٤٨٨. وهي في «الإحاطة..»: «قال القاضي أبو عبد الله : كان والده جدّه أحدَ أطباء قرطبة، وكا قد تبنّاه ... ! ١:٢٠٧.]الملك المراكشي

(٨) « التكملة .. «: ١٢١.

ويقول ابن عبد الملك: « وكان له دكانٌ متّسع يقعد فيه لبيع الحشائش الطبيَة...»، «الذيل.. » ١:٥٣١.

وفي شأن بيع الحشائش والأعشاب الطبية في الدكاكين، حدَّثني صديقي الموسوعي الأستاذ عمر رضا كحالة أنه، عهدَ إقامته في نيجيريا سنة ١٩٢٧م، وجد في العاصمة «لاغوس»حوانيتَ يقوم بها نفرٌ من أمثال هؤلاء العشّابين. فكان يتفق له - كما حدثني، أمدُ الله في عمره، أيام إعدادي هذا البحثَ ونحن نتسامر، في أمسيات صيف ١٩٨٦، في حديقة ابن سينا (في حي أبو رمانة بدمشق) - أن يرى العليلَ هناك يُقبل على العشّاب في حانوته، ويعرض عليه حالته أو حاجتَه من العشب، فينهض صاحب الحانوت إلى أعشابه ويعطي منها للزبون ماينفعه. وقد لاحظ الصديق الفاضل أن العليل، إذ يقف في باب الحانوت، يبادر إلى إلقاء التحيَّة منحنياً، وكذلك ينحني ساعة الانصراف، مما يدل على مدى الاحترام الذي يحظى به هؤلاء العشابون، الذين يقومون بدور الأطباء والصيادلة . ويقوم، اليوم، بدور العشّابين في البلاد العربية «العطّارون». وهم يبيعون، مع الأعشاب التي تضاءلت أنواعها وقيمتها بسبب شيوع الأدوية المركبة انتشار الصيدليات، مايلزم ربةَ البيت من التوابل والأفاوية، وكذلك العطور.

(٩) «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» ٢:٥٩٧، وقد انفرد بهذه الرواية. ومحمد بن يوسف بن هود كان، أول أمره، من قادة الجيوش في دولة الموحدين في مدينة مُرْسِية. فلما ظهر الخلل في الدولة تحرّك ضد الموحدين، واستولى على عدد من المدن الأندلسية، وتسلطن وتلقب بـ «أمير المسلمين المتوكل على الله». وبعدئذ ثار عليه ابن الأحمر (محمد بن يوسف)، فتنازعا رياسة الأندلس وتجاذبا حبل الملك فيها، إلى أن قتل ابن هود غدراً من قبل أحد قادته سنة ٦٣٥هـ.

فوقوف سلطان الأندلس في باب دكان النباتي، كان وأبو العباس في نحو السبعين من العمر! وفي شأن إقبال أبي العباس النباتي على النسخ، بدا أنه يقتصرْ على النسخ بنفسه، بل كان يتعهدً الإشرافَ على مايقوم به بعضُ النسّاخ. ففي بحث للدكتور محمد زهير البابا عن «المخطوطات الطبيّة العربية في المكتبة الوطنية بباريس»، نقرأ للباحث، في تعريفه بنسخة من كتاب ديسقوريدس عن الحشائش بالعربية اطلع عليها في تلك المكتبة الباريسية الكبرى، هذه العبارة: «الناسخ: عبد الملك بن أبي الفتح، بإشراف أبي العباس النباتيّ الأندلسيّ المشهور بابن الروميّة»، «مجلة معهد المخطوطات العربية»، الجزء الثاني (المجلد التاسع والعشرون) شوال ١٤٠٥هـ/يوليو ١٩٨٥.

(١٠) «الإحاطة .. « ١:٢١٣ .

(١١) «التكملة ..» : ١٢١.

(١٢) وردت في «الإحاطة..»: حبّ الدين! ١:٢١٠.

(١٣) «الذيل..» ١:٤٨٩.

(١٤) «الذيل..» ١:٤٩٠ – ٥١٠.

وقد اقتبس ابن عبد الملك أسماء هؤلاء الشيوخ من الفهارس التي أعدَّها النباتيُ في حياته.... يقول صاحب «الذيل..»: «هذا منتهى ماانتقاه أبو العباس النباتي من الشيوخ الذين استُجيزوا له على ماذركهم في فهارس له منوّعة، بين بَسْطٍ وتوسُّطٍ واقتضاب، وقفتُ منها بخطه وبخط بعض أصحابه والآخذين عنه»، ١:٥١٠.

(١٥) «الذيل» ١ :٥١١ .

(١٦) في «الإحاطة..» : وعاوض! ١:٢٠٩.

(١٧) «الذيل..» ١:٥١٢ و ١٣ .

(١٨) انفرد بذكره ابن الخطيب، «الإحاطة..» ١ : ٢١٢ .

(١٩) نلاحظ أن ابن أبي أصيبعة يُسمّي معاصره، ويُعَنْون الفصل الخاص به، بـ «ابنِ الروميّة» ! وكذلك سمّاه مؤرخوه غالباً؛ وهي كنية كان أبو العباس النباتي – يقول ابنُ عبد الملك – «يكرهها ويقلق لها» ! «الذيل..» ١:٤٨٧. وقد تحاشيناها في بحثنا. وسوف نذكره أحياناً بذلك اللقب النبيل، الذي حظي به في المشرق واستحقَّه عن جدارة: «محبّ الدين». وقد فات المؤرخين كافةً وصفهُ به !

(٢٠) ينبغي أن نصرف معنى العبارة إلى أن أبا العباس النباتي قد «قرأ» لابن حزم كثيراً ولم «يسمعه» مباشرةً، لأن الرجلين لم يتعاصرا، فبين وفاة ابن حزم (٤٥٦هـ) وبين ولادة النباتي (٥٦١هـ) أكثر من مئة سنة !

ونلاحظ أن صاحب «طبقات الأطباء» لم يصف أبا العباس بأنه «طبيب» وإن قال إنه «محقّقٌ للأمور الطبية»!

(٢١) «الجامكيّة» : مرتّب موظفي الدولة، و«الجِراية»: هي الجاري من الرواتب .

(٢٢) الملك العادل هو محمد بن أيوب بن شادي، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. استقلّ، بعد

وفاة أخيه، بملك الديار المصرية سنة ٥٩٦هـ وضمّ إليها الديار الشامية. كان ملكًا عظيمًا، حسنَ السيرة، محبًا للعلماء. توفي سنة ٦١هـ في إحدى قرى دمشق وهو يُجهِّز العساكر لقتال الإفرنج، ودفن في مدرسته المعروفة بالعادلية، التي اتُّخذت فيما بعد مقرًا للمجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) منذ تأسيسه بدمشق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م).

(٢٣) الترياق كلمة يونانية معرّبة، تُطلق على ذلك الدواء المركب من عشرات المواد، كان القدماء يعتقدون أن المداومة على تناوله تنفع في حفظ الصحة وإزالة المرض والتخلص من السموم. وكان لبعض المشاهير من الأطباء ترياق خاص بكل منهم، يزيد فيه مواد ويهمل أخرى. وأبو العباس، هنا، يركّب لمضيفه ترياقه الكبير .

(٢٤) «طبقات الأطباء»: ٥٤٨، طبعة دار مكتبة الحياة ببيروت (د.ت) .

(٢٥) «الذيل..» ١:٥١٢ .

وقد تحولَت العبارة الأخيرة، عند ابن الخطيب، بفعل الناسخ أو المحقق، إلى مايلي: «إذ كان حسن العلاج في طبه المَوْرود، الموضع، لثقته ودينه»! «الإحاطة..» ١:٢٠٨ .

قلت: وقد أشرنا، أعلاه إلى مدى استغراقه في نسخ الكتب وهو في دكانه !

(٢٦) وردت في «الذيل..»: وبما وهب! والتصحيح من «الإحاطة ..».

(٢٧) في «الذيل ..» بياض، والإضافة من «الإحاطة ..».

(٢٨)«الذيل..» ١:٥١٢، و «الإحاطة..» ١:٢٠٨ .

قلت: بدا أن فضيلة الكرم هذه، التي تحلّى بها محبُّ الدين، قد فاح منه عبيرُها وهو في المشرق؛ قال ابن أبي أصيبعة، في جملة أوصافه، إنه كان «كثيرَ الخير ... قد شرَّف نفسه بالفضائل»! «الطبقات..» : ٥٣٨ .

وليس من شك في أن إهداء كتاب، في ذلك الزمن، يعني شيئًا كبيرًا، وبخاصة إذا كان الكتاب المُهدى أصلاً لانسخة، وكان من النفاسة على نحو ما وصف المؤرخ المعاصر للنباتي! وليت ابن عبد الملك كان روى لنا بعض تلك «الأخبار المنبئة عن الفضل»، لنتأمل ... ونتعلم!

(٢٩) هو محمد بن محمد بن سعيد، من أهل إشبيلية، «كان فقيهًا مالكيًا حافظًا مبرزًا، متعصبًا للمذهب قائمًا عليه»، وأحد جدوده هو الذي لُقّب بـ «ابن زَرْقون» لحمرةٍ في وجهه. توفي سنة ٦٢١هـ وهو ابن ثلاثة وثمانين. «التكملة..» ١:٣٢٩ و ٣٠.

(٣٠) وصاحب هذا المذهب هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني (ت ٢٧٠هـ)، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسُميّت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس .

على حين يعتمد المذهب المالكي على القرآن والسنة وعلى قياس أهل المدينة المنورة وإجماعهم دون سواهم؛ وأما الأحناف، فإنهم يسلكون سبيل الرأي، ومذهبهم رمزٌ لحرية الفكر؛ وأما الإمام الشافعي، فقد توسَّط في مذهبه بين أهل الرأي وأصحاب الحديث ... «أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام» ٢:٣٦٠، لعلي الجندي ورفيقيه، القاهرة ١٩٥٩ - ٦٠ .

(٣١) لقد أجمع فقهاء العصر - كما يقول المؤرخ الأندلسي ابنُ حيان - أولئك الذين استهدفهم ابنُ

حزم بمعارضته العنيفة، «على تضليله، وشنَّعوا عليه، وحذَّروا سلاطينهم من فتنه، ونهوا عوامَّهم عن الدنوّ منه! فطفق الملوك يُقْصونه ويُسيِّرونه عن بلادهم» إلى أن انتهى إلى بلدةٍ من بادية لَبْلَة. وتوفي سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م). وأما مصنفاته فإن أكثرها «لم يجاوز عتبة باديته، لزهد الفقهاء فيها...» ! «تذكرة الحفّاظ..» ٣:٣٢٦ و ٢٧، للإمام الذهبي، حيدر آباد الدكن ١٣٣٤هـ .

(٣٢) «الذيل .. » ١:٥١٢ .

قلت: لم يكن أتباع هذا المذهب بالمرضيِّ عنهم من جمهور الفقهاء والكتّاب بصورة عامة. ومن طريف الأمر أن عبارة ابن الأبار، عن معاصره النباتي بإنه «ظاهريّ المذهب»، قد جاء، بعد نحو مئة عام، الإمام الذهبي لينقلها منه، ويضيف كالمستدرك: «إلا أنه على دين، وورع ، ومعرفة، وإيثار » ! «تذكرة الحفاظ..» ٤:٢١٠ .

ويقول صاحب «الإحاطة .. » : إن أبا العباس النباتي كان «على دين متين، وصلاح تام، وورع شديد»، ١: ٢٠٩ .

(٣٣) أحصاها الباحث الكبير الدكتور إحسان عباس، فكان ماتمّ العثور عليه منها حتى اليوم خمساً وعشرين، وأما المفقود والمحتجب فيتجاوز عدده الثمانين. «رسائل ابن حزم الأندلسي» ١:٥ - ١٥، تحقيق د. إحسان عباس، صدر منها حتى تاريخه أربعة أجزاء .

(٣٤) في «الذيل ..»: استحسنها، و التصويب من :»الإحاطة ..».

(٣٥) «الذيل..» ١:٥١٢، و «الإحاطة ..» ١ : ٢٠٩ .

(٣٦) «كثير الخير، موصوف بالديانة ... قد شرّف نفسه بالفضائل ...» .

(٣٧) جِلَّق هي دمشق .

(٣٨) «اختصار القِدْح المعلَّى..»: ١٨١، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٥٩ .

وعلى بن موسى... بن سعيد، من ذرية عمار بن ياسر، مؤرخ أندلسي من الشعراء، ولد سنة ٦١٠هـ قرب غرناطة، وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس سنة ٦٨٥هـ ، وقيل في دمشق. له تآليف منها:«القِدْح المعلّى في التاريخ المحلّى» في تراجم بعض شعراء الأندلس، الذي اختصره أحدُهم فيما بعد وفُقِد الأصل، ولعل أهم مصنفاته: «المُغْرِب في حُلَى المَغْرب».

قلت: ونقل عنه ابن الخطيب: ... إلى أن «أبلُغَ» الأمل، «الإحاطة..» ١:٢١٣، والصواب ماأثبتناه، لأنه تحقق لابن سعيد أن يزور دمشق قبل المنون وقبل تأليفه كتابه هذا!

(٣٩) «الذيل..» ١:٥١٣.

(٤٠) عبد الله بن عدي بن عبد الله بن القطان الجرجاني (٢٧٧ - ٣٦٥هـ):

علاّمة بالحديث ورجاله، أخذ عن أكثر من ألف شيخ، وكتابه «الكامل» - يُقال - ستون جزءاً، ثمة منه ثمانية عشر .

(٤١) يقول ابن الأبار: «سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يستحسنه ويثني عليه».

(٤٢) كان قد ورد في «الذيل..»: ولابن العباس «في الحديث ورجاله: المُعْلِم بزوائد البخاري على

مُسْلِم»، فتم نقل العبارة في «الإحاطة..»: له «في الحديث: رجَالة المعلّم بزوائد البخاري على مسلم»! وذلك مثال على مايقع في تحقيق الكتب من الأوهام.

(٤٣) محمد بن إسحق بن يسار: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة المنورة، سكن بغداد ومات فيها سنة ١٥١هـ، من كتبه «السيرة النبوية» هذّبها ابن هشام. قيل فيه: لم يكن أحد بالمدينة يُقارب ابن إسحق في علمه أو يُوازيه في جمعه .

(٤٤) علي بن عمر بن أحمد، إمام عصره في الحديث وأول من صنَّف القراءات وعقد لها أبوابًا، ولد سنة ٣٠٦هـ في حي بـ «دار القطن» ببغداد، ومات بها سنة ٣٨٥هـ .

(٤٥) يقول ابن الأبار: «وغيره أضبط منه» !

(٤٦) يقول ابن الأبار إنها «فهرسة حافلة، أفرد فيها روايته بالأندلس من روايته بالمشرق».

(٤٧) وعن هذه الفهرسة، أو عن الفهارس المنوّعة التي صنَّفها أبو العباس بشيوخه، نقل ابنُ عبد الملك في كتابه بضعاً وعشرين صفحةً حشد فيها أسماء شيوخ النباتي، وقال: إني «عثرت، فيما طالعته منها، على كثيرة، بين تصحيف، ونقص من الأنساب وزيادة فيها وقلبها، وتكرار، فلم آلُ جهدًا في إصلاح ما أمكنني من ذلك كله وتصحيحه وتقييده وإكماله، معتمدًا على ماوقع إليَّ له أو لغيره، من خطوط أولئك الشيوخ أنفسهم (...)، فمن وجد في نسخة من فهارس أبي العباس خلاف ماأثبتُّه هنا، مما قيدتُه وأزحت إشكاله، فالأولى به الرجوع إلى مايُلْفيه هنا، وتصحيحُه على ماهنالك بناء على ماقررته، اللهم إلا أن يستفرغ وُسعَهُ في البحث جهده...».

(٤٨) يقول المقرئ نقلاً عن ابن سعيد الأندلسي في تذييله على رسالة ابن حزم ذاكرًا فضل الأندلس: «وأما الطب، فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب – وقد سار أيضًا في المشرق لنُبله – كتاب «التيسير» لعبد الملك بن أبي العلاء ابن زُهْر(...)، ولأبي العباس ابن الروميَّة الإشبيلي، من علماء عصرنا، بهذا الشأن، كتاب في الأدوية المفردة»!

(٤٩) الغافقي، أحمد بن محمد، حكيم عالم من الأكابر في الأندلس، يقول ابن أبي أصيبعة: إن كتابه في الأدوية المفردة «لانظير له في الجودة ولاشبيه له في معناه» . توفي بعد ٥٦٠هـ.

(٥٠) وأضاف ابن الخطيب إلى ذلك ماسمّاه «المستدركة» (؟) وقال: «وهو الغريب الذي اختصَّ به، إلا أنه عَدِمَ عينَهُ بعده» ! وقال أيضًا في حق محب الدين أبي العباس النباتي: «أحد خزاين الأدوية، ومظان الفوايد الغريبة، ويجرى ذلك في تواليفه بما لايفتقر إلى شاهد»، ١:٢١٤ .

(٥١) «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية». دار المدينة (د.م.د.ت) (طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩١هـ/١٨٧٥م).

(٥٢) ولهذا، عندي، حديث «آخر علميَ نباتيَ»؛ فإنَ لي في الإعداد ما عنوانه: «كتاب الرحلة النباتيَة. مستخرج من مفردات ابن البيطار، تأليف أبي العباس النباتي» !

وأحبَ أن أبيَن أني قدَمتُ دراسةً مطولَة عن هذا النباتيَ الأندلسي، في الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب، التي انعقدت في رحاب جامعة حلب. معهد التراث العلميَ العربي؛ في شعبان ١٤٠٧هـ/نيسان ١٩٨٧م .